حديث السعودية
السبت 2 ربيع الآخر 1446هـ
الموافق 5 أكتوبر 2024م

# إن كنت هناك
# لا تقرأ هذا المقال

عبدالمحسن البدراني
رئيس التحرير

استيقظت في صباح أحد الأيام، وقررت أن أضع حدا لهذه اللعبة السخيفة التي تلعبها الحياة معي. كنت دائما أذهب إلى هناك، فأجد «هناك» قد تحول إلى «هنا»، وكأن الكون بأسره قد وضعني في حلقة لا تنتهي من التحولات الغامضة. اليوم، قررت أن أواجه هذا المصير بكل حزم. ارتديت حذائي، وكأنني مقاتل يستعد لمعركة، وقلت لنفسي: «يا أنا يا هالعالم الفنتازي».

خرجت من البيت، متجها إلى ذلك المكان البعيد الذي يقال إنه الحل لكل مشاكلي. عندما وصلت إلى الباب، اكتشفت أنه باب لمكان لم أكن أقصده أصلا. هل هذا هو المكان؟ أو ربما كان يجب أن أذهب إلى «هناك» قبل أن آتي «هنا»؟ فجأة، ظهر أمامي شيخ عجوز يلوح بيده، وقال: «تريد الوصول إلى هناك؟ يجب عليك أولا المرور عبر هنا، لكن احذر. عندما تصل، قد لا تجد ما تبحث عنه».

تبًّا، كيف يمكن أن أصل إذا كان «هناك» يهرب مني في كل مرة أقترب فيه؟ الشيخ نظر إلي ضاحكا، وكأنه يعرف أنني سألعب هذه اللعبة إلى الأبد. وبدلا من أن أستسلم، قلت له: «طيب، أين المفتاح؟» فأجاب: «المفتاح ليس مفتاحا، إنه فكرة، والفكرة ليست فكرة، إنها وهم، والوهم هو الحقيقة الوحيدة». هنا، أدركت أنني كنت في لعبة منذ البداية.

بعد يوم طويل من التجول بين الأبواب الغريبة، وجدت نفسي أخيرا أمام باب يعرفني، وكأنه يقول: «أهلا بك في هناك. الذي هو في الحقيقة هنا». عندما فتحت الباب، وجدت نفسي في نفس المكان الذي بدأت فيه، لكن هذه المرة كان كل شيء مختلفا. الجدران تهمس لي بالأسرار، والكرسي الذي أجلس عليه يبتسم لي بمكر. سألت الكرسي: «ماذا تريد مني؟» فأجاب: «أريدك أن تدرك أن هنا وهناك هما نفس الشيء، طالما أنك لا تعرف ماذا تريد».

في النهاية، فهمت الدرس الفنتازي الذي حاولت الحياة تلقيني إياه. كلما ركضت وراء «هناك»، وجدت نفسي في «هنا»، وكلما وصلت إلى «هنا»، اكتشفت أنني لم أذهب إلى أي مكان.

وفي لحظة أخيرة من اليقين، وجدت نفسي بالفعل في «هناك». لم يكن كما تخيلته أبدا؛ كان «هناك» ينتظرني بصبر غريب، وكأنه يبحث عني طوال هذا الوقت. كل شيء حولي بدا مألوفا وغريبا في آن واحد؛ الجدران تحييني بحفاوة، والأبواب تفتح من تلقاء نفسها، وكأنني كنت المفتاح الذي ينقصها.

نظرت حولي لأرى «هناك» يبتسم لي، متمثلا في كل زاوية وكل همسة. لم أكن أسعى إليه فحسب؛ بل كان يسعى إليّ منذ البداية، يراقب خطواتي ويختبئ في كل انعطافة. وكأنه يقول لي: «كنت معك في كل خطوة، لكنك لم تنتبه لي حتى عرفت نفسك حقا».

عندها أدركت أنني لم أصل إلى «هناك» لأهرب من «هنا»، بل لأجد ما كنت أبحث عنه في داخلي منذ البداية. فتح «هناك» ذراعيه لي، مرحبا بي كصديق قديم، وكأن الحياة بأسرها كانت تنتظر هذه اللحظة... لحظة الوصول.